مراجعات

صَبابة المُعاني وصَبّابة المَعاني للسلطي. تحقيق: فاطمة بنت محمد السويدي. سلسلة تحقيق التراث (٧)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦/٢٠٠٥.

جورج قنازع

في العالم اليوم -في المكتبات الخاصة والعامة- آلاف المخطوطات العربية التي ما زالت تنتظر التحقيق والنشر، وعملية تحقيق مخطوط ما ليست سهلة إطلاقًا لأنّ على المحقّق أن يكون ملمًّا بأصول التحقيق وبأمّهات مصادر التراث ليكون عمله ناجعًا وليحتلّ الكتاب المحقَّق مكانته الحقّة ومكانه الخاص في المكتبة العربيّة.

ولقد وصلني مؤخراً كتاب **صَبابةُ المُعاني وصَبّابة المَعاني** لأبي بكر محيي الدين السلطي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، بتحقيق الدكتورة فاطمة بنت محمد السويدي. يقع الكتاب في 335 صفحة من القطع الكبير مقسمة كالتالي:

أ) من البداية حتى صفحة ٣٠ مقدّمة المحقّقة، وفيها عرض لطريقة التحقيق ومخطوطات الكتاب المعتمَدة، وصور لبعض هذه المخطوطات وغيرها.

ب) نص الكتاب المحقَّق، من الصفحة ٣٣ حتى الصفحة ٢٦٨.

ت) مراجع التحقيق ومصادره، ثمّ الكشافات التي تشمل فهرس الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية ثمّ فهرس الشعر وفهرس الأعلام.

والناظر في هذا الكتاب يرى بوضوح الجهد الكبير الذي بذلته المحقّقة لإخراجه إلى النور. وكتاب **صبابة المعاني** هو كما يبدو آخر ما ألّفه القدماء في موضوع الحبّ في التراث العربيّ، فقد سبقته مجموعة كبيرة من المؤلّفات التي تناول هذا الموضوع، بدءًا بأبان اللاحقي المتوفى سنة ٢٠٠ للهجرة، صاحب الأرجوزة التي أورد الصولي في **كتاب الأوراق** أكثر من مائة بيت منها، ثمّ بالجاحظ الذي كتب عدّة رسائل في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العشق والنساء والقيان، ثم بهذا العدد الكبير من المؤلفين الذين ساهموا، كلّ حسب ميوله، بالكتابة في هذا الموضوع. وقد استمرّ التأليف الذي عكس اهتمام المجتمع العربيّ في حينه بالمرأة الزوجة والقينة، وبالعلاقات بين المرأة والرجل، حتى أصبح لدينا عدد كبير من المؤلّفات التي تقدّم صورة واضحة تظهر ميول المؤلّفين من الميل إلى الحبّ الإلهي والتصوّف إلى الحب البشريّ العفيف والإباحيّ، وصولًا إلى التحلّل الخلقيّ والميل إلى الأدب المكشوف.[١]

ألّف السلطي -الذي ترجح المحقّقة أنّه توفّي "بعد سنة ١١٠٧ هـ وقبل ١١١٦ هـ"- كتابَه المذكور سنة ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م كما كتب هو بخطّه (نسخة برلين 219 we). هذا يعني أنّ عصر هذا الكتاب ليس عصر الازدهار الحضاريّ العربيّ كما عرفناه، بل عصر التراجع الثقافيّ الذي أوصل إلى ما يعرف بعصر الانحطاط، رغم ما في هذه التسمية من التجنّي.

في أثناء عملي على تحقيق **كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب** لأبي الفرج عبد الرحمن بن نصر الشيزري ثم كتاب **غواني الأشواق في معاني العشاق** لابن البكاء البلخي الحنفي المتوفى في المدينة المنورة سنة ٩٨٠\١٦٣٠ اطّلعت على مخطوط برلين لكتاب السلطي في محاولة معرفة تأثير ابن البكاء على من جاء بعده. ولما لم أجد له ذكرًا في كتاب السلطي كتبت في مقدمة **كتاب غواني الأشواق** ما يلي: "وعند محاولة فحص تأثير هذا الكتاب (أي **غواني الأشواق**) على من جاء بعده لم أجد من نقل عنه أو أشار له، وأراني أميل إلى القول إن تأخّر الفترة الزمنيّة واستنفاد كلّ ما يمكن أن يقال في الموضوع لم يُبق أيّة إمكانية للتجديد أو الإضافة، ولا أعلم عن أيّ مؤلَّف بعده سوى كتاب لمحمد محيي الدين الدمشقي السلطي بعنوان **صبابة المُعاني وصبّابة المَعاني** تمّ تأليفه سنة ١٠٦٤ للهجرة، ١٦٥٣ للميلاد قد يكون آخر ما أُلّف في الموضوع على نهج القدماء، وتوجد منه نسخة في مكتبة الدولة ببرلين." ولتفاصيل أكثر أحلت القارئ على فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين:

---

[١] في مقدمة **كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب** لأبي الفرج عبد الرحمن بن نصر الشيزري فيسبادن ٢٠٠٣، xvii-xxii قائمة بأسماء المؤلّفات التي وصلتنا والتي لم تصلنا في هذا الموضوع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Verzeichniss der arabischen Handschriften der königlichen Bibliothek zu Berlin, Berlin, 1895, vol. vii, pp. 408-409.[٢]

قسّم السلطي متن كتابه إلى مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة تناول فيها موضوعه من مختلف جوانبه، معتمدًا بذلك على معظم الكتب التي وُضعت قبله، وقد اعتمدت المحقّقة على ثلاث مخطوطات للكتاب وجدت واحدة منها في مكتبة تشستربتي-دبلن- وأشارت لها بالحرف (أ)، وأخرى في مكتبة الدولة ببرلين وأشارت لها بالحرف (ب)، وثالثة في المعهد العالي للدراسات الإسلامية بيروت وأشارت لها بالحرف (ل). من هذه المخطوطات الثلاث اعتمدت المحقّقة مخطوطة تشستربتي "لأنها الأقدم زمنيًّا رغم أنّ جميع النسخ كانت بخطّ المؤلّف." (ص. ١٨ من مقدمة المحققة)

عند قراءة الكتاب يتّضح أنّ المحقّقة أخذت متن الكتاب من نسخة تشستربتي على ما فيها من عدم الدقّة، وحين كانت قراءة مخطوطة أخرى أنسب لم تغير المتن بل أشارت إلى ذلك في الحواشي، على ما أوصى به عبد السلام هارون في كتابه **تحقيق النصوص ونشرها**؛ فتحقيق متن الكتاب هو "أن يؤدى الكتاب أداءً صادقًا كما وضعه مؤلّفه كمًّا وكيفًا بقدر الإمكان...." وردًّا على السؤال: " وكيف نترك ذلك الخطأ يشيع وكيف نعالجه؟ يجيب هارون: ".... أنّ المحقّق إن فطن إلى شيء من ذلك الخطأ نبَّه عليه في الحاشية أو في آخر الكتاب وبيّن وجه الصواب فيه، وبذلك يحقّق الأمانة العلميّة ويؤدّي واجب العلم."[٣] مثال ذلك ما جاء على صفحة ٦١ سطر ١٥ من **صبابة المعاني**: صّحة القالب عدم الهمّ والفكر.... وتأتي القراءة الأصح كما أعتقد في الحاشية رقم ٦ من المخطوطتين (ل) و(ب): القلب بدل القالب. ونقرأ على صفحة ١٤٧: قال صاحب الشجن:

رَنَا وَنَاظِـــــرُهُ بِالسِّـــحْرِ مُكْتَـــحِلُ أَغَـــــنُّ يَمْـــتَارُ مِـــنْ أَلْحَاظِـــهِ الْغَزَلُ
فَرُحْـــتُ أَدْنُو بِقَلْـــبٍ هَاجَـــهُ شَجَـــنٌ وَرَاحَ يَنْأَى بِنَجْـــــــلٍ زَانَـــــهُ نَجَـــلُ

---

٢ أنظر: **كتاب غواني الأشواق في معاني العشاق** لعبد المعين بن أحمد الشهير بابن البكاء البلخي الحنفي، تحقيق وتقديم جورج قنازع، هاراسوفيتز للنشر، فيسبادن ٢٠٠٨، مقدمة المحقق ص. ق.

٣ عبد السلام هارون: **تحقيق النصوص ونشرها**، ط. ٢، القاهرة ١٣٨٥/1965، ٤٤-٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الملاحظة رقم ٦ وضعت المحقّقة قراءة المخطوطة (ل) لعجز البيت الثاني وهي: بخدّ زانه نجل، وأضافت: وهي الصواب. وعلى صفحة ٢٠٨ اقتبس المؤلّف رسالة له كتبها خالية من النّقط -كما اقترح عليه بعض الإخوان. تبدأ الرسالة بما يلي: "الحمد لله عالم أسرار الممالك، **يعطي الحكمة** أهلها وهو لها مالك، سهّل للمكد الهمّ والسهر وحلّ كاحله **إسالة** الدمع كالمطر، ..." فالكلمات الثلاث المشددة هنا هي كلمات منقوطة، وفي الحاشية أشارت المحققة إلى قراءة مختلفة للفعل يعطي في المخطوطة المشار لها بالحرف (ل): وهو معطٍ، وهي قراءة أفضل أشارت لها المحققة ولم تدرجها في النص. ومثل ذلك الملاحظة ١٢ في نفس النص. وانظر في مثل هذا قول الإمام الشافعي في أول الصفحة ١٩٤، الملاحظة (١) حيث وردت القراءة الأفضل في الحاشية وليس في المتن.

ولكنّنا عندما نعاين عددًا من النصوص المحقّقة لا نجد التزامًا شاملًا بتوصية عبد السلام هارون. فها هو نفسه حين حقّق كتاب الاشتقاق لابن دريد أثبت القراءة الصحيحة في المتن وأشار إلى الخطأ في الحاشية. فقد جاء على السطر ٣ من صفحة ١١٤ من **الاشتقاق** ما يلي: "ويسمى الجُوالق لبيدًا"، وكتب في الحاشية ٢: "في الأصل ومثله في (ط): "الحوالق، صوابه بالجيم كما أثبتُّ." وفي الملاحظة ٢ على صفحة ١٩١ تعليق على قراءة صدر بيت من الشعر هو: وإن عرارًا إن يكنْ ذا شكيمةٍ...

"في الأصل غرارًا بالمعجمة، تصحيف." أنظر أيضًا الملاحظة ١ صفحة ٣٤٣، وملاحظة ٣ صفحة ٤٤٩ وغيرها. ونجد أيضًا في **كتاب الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي أمثلة على هذا النهج. فعلى صفحة ٨٩ من الجزء الأول نقرأ في الملاحظات ٢: في الأصل وقد بالقاف وهو تحريف وما أثبتناه أولى بالسياق، وملاحظة ٣: في الأصل للهى وهو تحريف، وملاحظة ٤: في الأصل أجرح وهو تصحيف.[٤] والذي يبدو أن كثيرًا من المحقّقين اتّبعوا هذه الطريقة الثانية وصحّحوا النص في متن الكتاب ليكون مستساغًا، مع الإشارة إلى كلّ الفروق في الحواشي.

وقد دأب المحقّقون على وصف كل مخطوط يعالجونه وصفًا دقيقًا، لما في ذلك من فائدة للمحقّق وللقارئ. فعلى فراغات الصفحات يضيف قرّاء الكتاب معلومات قد تفيد التحقيق أو تشير إلى تنقّل الكتاب من منطقة إلى أخرى، وهكذا. لم أطّلع على المخطوطات الثلاث **لصبابة المعاني**، ولكنني قرأت

[٤] **كتاب الإمتاع والمؤانسة**، تأليف أبي حيان التوحيدي، صحّحه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت. أنظر أيضًا صفحة ٨٦ وملاحظة ٣ صفحة ١١٥، وعلى صفحات عديدة من الأجزاء التالية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مخطوطة برلين ووجدت على صفحتها الأولى تمليكات منها إلى يمين العنوان: "دخل في ملك الفقير لله تعالى السيد عبد اللطيف فتح الله"، وإلى يساره "نظر وتأمّل في معانيه أضعف العباد إلى الله تعالى السيد..... عفي عنه" (الاسم مشطوب). وفي أسفل اليسار: فناظر في هذا الكتاب الفقير الراجي عفو القدير علي ابن المرحوم أحمد أفندي.... غفر الله له ولوالديه آمين. حرر في غرة شهر جمادى الأول سنة ١١٥١. ونقرأ أبياتًا من الشعر باللغة الفارسية على الصفحة الأخيرة من الكتاب. على المحقّق أن يضع كل هذه المعلومات أمام القارئ وأن يستخلص منها أيّة معلومة تفيد تاريخ الكتاب ومدى انتشاره في الفترة القديمة.

ومع تقديرنا البالغ للجهود المبذولة في تحقيق هذا الكتاب لا بدّ من الإشارة إلى بعض الهفوات، لعل المحقّقة تتنبّه لها وتعالجها في طبعة ثانية إن شاء الله.

- أجد صعوبة في فهم المقصود في الفقرة الأخيرة من صفحة ٤٥ وأول صفحة ٤٦. فالروح يشار لها بصيغة المذكر أحيانًا والمؤنّث أحيانًا أخرى. ودور المحقّق في هذه الحالة أن يضبط النص باختيار إحدى الصيغتين؛ كذلك لا أرى لماذا وضعت النقطة في نهاية الصفحة ٤٥ مع أنّ الكلام مرتبط بما يأتي على الصفحة التالية. والملاحظة (١) على صفحة ٥١ تقول: العبارة ساقطة. أيّ عبارة بالضبط؟ من أي المخطوطات الثلاث سقطت؟ وعلى صفحة ٧٠ ثمانية أبيات لأبي نواس قالت المحقّقة إنها لم تجدها في ديوانه، والأبيات -عدا الثالث- في **غواني الأشواق** ١٠٨، مع اختلاف في القراءات. وهي في **أخبار أبي نواس** لأبي هفان المهزمي ٩٧-٩٨ (بيروت ١٩٦٤) (١٢ بيتًا)، **وتزيين الأسواق** لداود الأنطاكي (بيروت ١٩٩٢) ص. ١٥:١ **والواضح المبين** للحافظ مغلطاي (بيروت ١٩٩٧) ص. ٢٢.
- ونقرأ على صفحة ١٩٩ ما يلي: وقال الشاعر (تكرّرت هذه الكلمة دون حاجة):

يَا وَاعِـــــدَ الْوَعْـــــدِ الْجَمِيلِ انْتَجِـــزْ مَا الخُلْـــفُ مِنْ سِيـــــرَةِ أَهْـــلِ الْوَفَا
مَا كَـانَ مَـا أَظْـــهَـــرْتَ مِـــنْ وُدِّنَا إِلَّا سِـــــــرَاجًا لَاحَ ثُمَّ انْـــطَفَـا

وذكرت المحقّقة في الملاحظة رقم ٤ أنّها لم تقف على البيتين، وهما في **كتاب آداب الصحبة وحسن العشرة** لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي حيث ورد: وأنشد أبو نصر الوزيري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو الوزري، والاسم الصحيح هو أبو نصر المروزي، من علماء القرن الهجري الثالث، وقراءة صدر البيت الأول فيه: يا واعدَ الوعد الذي أخلفا.[٥]

- على صفحة ٢٠٤-٢٠٥ اقتباس من رسالة كتبها العلامة بدر الدين الدماميني لبعض أصحابه يصف موت صديق له وحزن الطبيعة لفقده، ثم أورد في أثنائها قول الشاعر:

وَمَا كلـــف الْبَـــدْرِ الْمُنِيـــرِ قَدِيمَةٌ وَلكِنَّمَا فِي وَجْـــهِهِ أَثَـــرُ الظُّـلْمِ

ولم تقف المحقّقة على قائل البيت كما ذكرت في الملاحظة رقم ٤ على الصفحة ٢٠٥. والبيت من قصيدة لأبي العلاء المعري يرثي أبا إبراهيم العلوي ويخاطب صديقًا له، وقد وردت هذه القصيدة المؤلفة من ٤٦ بيتًا في ديوان **سقط الزند**، ص. ١٩-٢٣، ورقم البيت فيها هو ٣٩، وقراءته:

وَمَا كُلْـــفَـــةُ الْبَـــدْرِ الْمُنِيـــرِ قَدِيمَةٌ وَلكِنَّهَا فِي وَجْـــهِهِ أَثَـــرُ اللـــدمِ

- وعلى ٢٠٨ السطر ٤ من أسفل الصفحة اسم المرأة الكامل كما ورد في **روضة القلوب** صفحة ١٢١: عقيلة بنت الضحاك بن المنذر بن ماء السماء.
- في الرواية الواردة على صفحة ٢٣٩-٢٤٠ بعض الاضطراب. يصل الرسول إلى بيت المحبوبة حاملاً رسالة شعريّة: قل إنّ فلانًا قال لي:

مرّ بِالحبِيـــبِ وَقُـــــلْ لَـــــهُ مَحْـــبُوبُـــكُمْ مَـــــنْ أَعَلَّـــهْ

ويأتي جواب هذا السؤال ضمن السرد العادي:....ثم خرجت فقالت: ارجع إليه وقل له عليلكم من ذا أعله؟ فرجعت إلى الفتى وأخبرته بالجواب....

وللتصحيح ترد هذه الرواية في **مصارع العشاق وذم الهوى وغواني الأشواق**[٦] كما يلي:

... أطرق الباب وقل له: فلان قال لي:

---

[٥] أنظر: **كتاب آداب الصحبة وحسن العشرة** لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، حققه وعلق عليه م. ي. قسطر، أورشليم ١٩٥٤، ٣٤-٣٥.

[٦] أنظر: **غواني الأشواق**، ١٢٥-١٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرَ بالحبيـــب وقـــل لـــه مَجْـــنُونُكُمْ ذَا مَـــنْ أَغَلَّـــهْ

قال: فمشيت وسألت عن الزقاق والدرب، قال: فطرقت الباب فخرجت إليَّ عجوز فأبلغتُها الرسالة فدخلتْ وغابت ساعة ثم خرجت وقالت:

ارْجِـــعْ إِلَيْـــهِ وَقُـــلْ لَهُ وَعَلِيلُـــكُمْ ذَا مَـــنْ أَعَـــلَّهْ

- وفي الحديث عن العفاف أورد المؤلف رواية عن محمد بن القاسم المغربي أنه هوي فتى.... "فكتم هواه وأخفى ضناه إلى أن عيل صبره ونفث الدم من فيه على صدره، ومات على كتمانه ولم يبح غير شأنه لسانه" (ص. ٢٤٢ السطر ١٣). وفي الملاحظة ٦ كتبت المحقّقة عن آخر كلمات المقتبَس: " في (ل): لشانه." ولا تزيل هذه القراءة اللبس عن الكلمات الأخيرة، ولعل القراءة الصحيحة لهذه العبارة الأخيرة هي: ومات على كتمانه، ولم يُح بشانه، أو: ومات على كتمانه ولم يبح لسانُه بشانه.
- وفي رواية عن الفرزدق (ص. ٢٤٠-٢٤١) أنه التقى بجارية سوداء، ولما عرفت أنه من اليمامة قالت ثلاثة أبيات من الشعر أولها:

تَذَكَّـــرْتُ الْيَمَامَـــــةَ إِنَّ ذِكْـــــرِي بِـــــهَا أَهْـــلَ الْمُـــــرُوءَةِ وَالْكَرَامَـــهْ

وعندما سألها: أذات خدر أم ذات بعل أجابت:

إِذَا رَقَدَ الْأَنَامُ فَـــــــإِنَّ عَمْـــــرًا لَـــكَالْقَمَرِ الْمُنِيـــــــــرِ الْمُسْتَنِيـــــرِ
وَمَا لِي فِي التَّبَـــــــــعُّلِ مِنْ مُـــرَادٍ وَلَـــــوْ رَدَّ التَّـــــــبَعل كَـالْأَسِيرِ

ترد هذه الرواية في **غواني الأشواق** (ص. ١٣٨-١٤١ ومراجع عديدة أخرى ذكرت فيه)، وقراءة البيت الأول فيه:

تَذَكَّـــرْتُ الْيَمَامَـــــةَ أَيَّ ذِكْـــــرَى بِـــــهَا أَهْـــلَ الْمُـــــرُوءَةِ وَالْكَرَامَـــهْ

وبعده يرد في جوابها:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَمَا لِي فِي التَّبَـــــــعُّلِ مِنْ مُـــــرَادٍ وَلَـــــــــوْ رَدَّ التَّـــــبَعُّلُ لِي أَسِيرِي

- ورد في وصف الهوى بيتان على ص. ١٢٦ وهما:

يَقُــولُ أُنَاسٌ لَـــوْ نَعَـــــتَّ لَنَا الْهَوَى وَوَاللهِ مَا أَدْرَي لَهُـــــــمْ كَيْــفَ أُنْعَتُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْـــــــهُ حَـــــدٌّ أَحُدُّهُ وَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْـــــــهُ وَقْتٌ مُؤَقَّـــــتُ

ذكرت المحققة أنها لم تقف عليهما. وللحقيقة أقول: وردت في **روضة القلوب** قطعة في وصف الهوى تبدأ بالبيتين السابقين بعدهما أربعة أبيات أخرى لأبي العتاهية.[٧]

وإذا كان الهدف هو إحياء التراث ونقله بأمانة فإن المحقّقة قد أدّت لهذا التراث خدمة جلّى تستر هذه الهفوات كما تستر الأخطاء المطبعيّة التي يسهل على القارئ التنبه لها وتجاوزها. آملًا أن تفيدها التجربة لتصبح من المحقّقين النابهين الذين تنتظرهم المخطوطات العربيّة التي ما زالت في غياهب النسيان.

[٧] أنظر **روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب** لأبي الفرج عبد الرحمن بن نصر الشيزري، ٦-٧، وفيه إشارة لمراجع أخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Copyright of Al-Karmil: Studies in Arabic Language & Literature is the property of Al-Karmil Studies in Arabic Language & Literature and its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission. However, users may print, download, or email articles for individual use.

www.manaraa.com